أبو غسان محمد بن يحيى المدني.. وكتابه المفقود "أخبار المدينة"

ياسر أحمد نور

أستاذ مشارك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية

الملخص

استحثت المدينة النبوية بخصوصيتها الدينية وأهميتها الحضارية المؤرخين عبر العصور، أن يعنوا برصد كل ما تشمله من خطط وآثار ومعالم حضارية وجغرافية، هذا فضلاً عن الوقائع والأحداث المتعلقة بها. وممن عنوا بالتأريخ لهذه الجوانب للمدينة النبوية، واحد من مؤرخيها الرواد، هو أبو غسان محمد بن يحيى الكناني المدني، الذي كان حياً عام 198هـ/ 813م، وذلك من خلال كتابه المفقود "أخبار المدينة".

ولما تبين للباحث أنه لا يوجد من سبقه إلى دراسة هذا الموضوع، فضلاً عن توافر كثير من مرويات هذا الكتاب منثورة في بطون بعض المصادر التاريخية، كان ذلك دافعاً إلى اختياره ليكون هذا الموضوع، محلاً للبحث والدراسة من خلال عدد من المحاور، وهي:

- إطلالة على الواقع الثقافي بالمدينة في صدر الإسلام.
- التعريف بأبي غسان محمد بن يحيى المدني.
- أبو غسان محمد بن يحيى المدني مؤرخاً للمدينة النبوية.
- قراءة تحليلية لمرويات أبي غسان محمد بن يحيى عن معالم المدينة النبوية وأخبارها.
- منهج أبي غسان محمد بن يحيى في كتابة المفقود "أخبار المدينة" من خلال النصوص المجموعة.
- أثر أبي غسان محمد بن يحيى فيمن تلاه من المؤرخين.

يرجع السبب في نشأة نمط التاريخ المحلي أو تاريخ المدن، إلى حركة الفتوح وما تعلق بها من مقدمات، وذلك بغية تعرف جغرافية البلدان المفتوحة، ولكن مطلق هذا الأثر لا ينسحب على نشأة هذا النمط من الكتابة التاريخية بالمدينة النبوية؛ ذلك أن المعطيات الباعثة على ظهوره بها كانت مختلفة عن غيرها في باقي الأمصار[1].

لاشك أن المدينة النبوية اكتسبت خصوصيتها وتفردها عن باقي الأقاليم والبلدان، من حيث كونها، مهبطاً للوحي، ودار هجرة النبي ﷺ وصحبه، ومن ثم أضحت المدينة تضارع مكة بوصفها حرماً[2]، بل وصفت بأنها مجمع الإيمان وموئله[3]، ناهيك عن كونها عاصمة دولة الإسلام الأولى، ومن ثم تبوأت ريادة الدور الحضاري في الإسلام؛ فكانت مصدر نشر هذا الدين في الآفاق، وينبوعاً لعلومه ومعارفه. إذن، فنحن في التحليل الأخير أمام موطن شهد ميلاد أمة، وفجر حضارة جديدة.

كل هذه الخصائص استحثت مؤرخي المدينة أكثر من غيرهم، على أن يأخذوا بزمام المبادرة للتأريخ لمكان بهذا القدر من الأهمية الدينية والقيمة الحضارية، فعنوا من خلال نمط تاريخ المدن برصد كل ما تشمله المدينة من خطط، وآثار، ومعالم حضارية وجغرافية، هذا فضلاً عن الأحداث السياسية والوقائع العسكرية المتعلقة بها[4].

ولعل ممن ينطبق عليه هذا التوصيف واحداً من رواد مؤرخي المدينة الثقات، هو أبو غسان محمد بن يحيى المدني. ولمّا لم يقف الباحث على دراسة عنيت خصيصاً بالكشف عن هذا المؤرخ، ونزعت للوقوف طبيعة كتابه المفقود الذي أرخ من خلاله للمدينة النبوية، فكان ذلك باعثاً حثيثاً على اختيار هذا الموضوع ليكون محلاً لعناية هذا البحث الموسوم بـ "أبو غسان محمد بن يحيى المدني. . وكتابه المفقود أخبار المدينة" .

هذا وتكمن مشكلة البحث في التعريف بمحمد بن يحيى الكناني؟، وهل كان له مصنَّف تاريخي في هذا الشأن؟ وإذا ثبت وجود مصنف له أرخ فيه للمدينة فما أبعاد خطته التي صاغ من خلالها هذا الكتاب؟، وما طبيعة مادته

التاريخية؟، وما المنهج الذي اعتمده في جمع مروياته وتوثيق أخباره، وكذا منهجه في نقد مروياته وتحقيقها؟، وما أثره فيمن جاء بعده من مؤرخي المدينة عبر العصور ؟.

وسوف يُضْطَلع بمعاجلة موضوع الدراسة من خلال المحاور الآتية:

- إطلالة على الواقع الثقافي بالمدينة في عصر أبي غسان محمد بن يحيى.
- التعريف بأبي غسان محمد بن يحيى المدني.
- أبو غسان محمد بن يحيى المدني مؤرخاً للمدينة النبوية.
- قراءة تحليلية لمرويات أبي غسان محمد بن يحيى عن معالم المدينة النبوية وأخبارها.
- منهج أبي غسان محمد بن يحيى في كتابة تاريخ المدينة من خلال مروياته.
- أثر أبي غسان محمد بن يحيى فيمن تلاه من المؤرخين.

أولاً - إطلالة على الواقع الثقافي بالمدينة في عصر أبي غسان محمد بن يحيى

لعل من المستحسن قبل الولوج إلى موضوع الدراسة، أن يُمَهد له في هذا المقام بنبذة تاريخية تعرِّف بمعالم الواقع العلمي والفكري بالمدينة، الذي أسهم في تشكيل البنية المعرفية لمؤرخنا محمد بن يحيى، وإذا كنا لم نستطع الوقوف على تاريخ محدد لمولده ووفاته، كما سيتضح، فإن المؤكد أنه من أعلام المدينة في القرن الثاني الهجري، وهذا يعني أنه نتاج بيئتها الفكرية والثقافية التي تشكل قوامها من علوم الإسلام وشرعه الحنيف؛ حيث تمثل المدينة أصل هذه العلوم ومنبتها، ولهذا كان الإمام مالك (ت179هـ/ 795م) في رسالته لليث بن سعد (ت175هـ/ 791م) يقول: "إنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها تنزل القرآن، وأحل الحلال، وحرم الحرام، إذ رسول الله ﷺ بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويبين لهم فيتبعونه حتى توفاه الله. . "[5].

فأما على صعيد الفقه؛ فقد بدأت نواة مدرسة المدينة الفقهية تتكون من خلال كبار فقهاء الصحابة الذين أقاموا فيها: أمثال: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت..؛ حيث انتهى علمهم واجتهادهم إلى جيل التابعين، ولاسيما من عرف منهم بفقهاء المدينة السبعة، وهم: عروة بن الزبير (ت93هـ/ 711م)، وسعيد بن المسيب (ت93هـ/ 711م)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت105هـ/ 773م)، وخارجة بن زيد بن ثابت (ت100هـ/ 718م)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود(ت98هـ/ 716م)، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث (ت94هـ/ 712م)، وسليمان بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث (ت97هـ/ 715م).

ثم أخذ علم الفقه في التطور إلى أن بلغ ذروته في عصر الإمام مالك بن أنس، الذي جسده في كتابه الأشهر "الموطأ"، وعلى يديه لاقت صناعة الفقه بالمدينة رواجاً كبيراً، وشهدت إقبالاً غير مسبوق؛ حيث شد إليها الرحال من قبل طلاب العلم من مختلف البلدان والأمصار، حتى إن كثيراً من العلماء ذهب إلى أن الإمام مالك، هو المقصود من حديث النبي ﷺ: "يوشك أن.. يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم لا يجدون عالماً أعلم من عالم أهل المدينة"[6].

أما من ناحية علم الحديث؛ فالمدينة كانت هي أصل هذا العلم ومنبعه، فبها كتب الصحابة صحفاً دونوا فيها الحديث عن رسول الله ﷺ بعد أن أذن لهم ﷺ بذلك، مثل: صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي عرفت بـ"الصادقة"، ويذكر ابن الأثير[7] أنها اشتملت على ألف حديث. كما اعتمد عمر بن عبد العزيز على علماء المدينة في القيام بأول محاولة رسمية لجمع الحديث، وأوكل هذا الأمر لقاضيها أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت 135هـ/ 752م)، حيث كتب إليه " انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء.. "[8].

ثم تطور الأمر إلى أن وصلنا إلى مرحلة التصنيف على حسب أبواب الفقه وموضوعاته، وكان ذلك على يد الإمام مالك من خلال كتابه "الموطأ" الذي قال عنه عبد الرحمن بن مهدي (ت198هـ/ 813م): "ما نعرف كتابا فِي الإسلام

بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك"[9]. بل يكفي أهل الحديث بالمدينة فخراً وفضلاً، أنه صدر من بينهم أصح أسانيد رواية الحديث على وجه الإطلاق، التي قال عنها البخاري (ت256هـ/ 869م): "أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر"، ولهذا عرفت بسلسلة الذهب[10].

أما بالنسبة إلى علوم القرآن فيكفي أن نشير منها في هذا المقام إلى علم القراءات، الذي بدأ ظهوره بالمدينة من لدن عصر النبوة؛ حيث ظهر طائفة من الصحابة عرفت بـ"القرّاء"، كان من أشهرهم: عثمان بن عفان (ت35هـ/ 656م)، وعلي بن أبي طالب (ت40هـ/ 661م)، وأبيّ بن كعب الأنصاري (ت22هـ/ 642م)، وعبد الله بن مسعود (ت32هـ/ 652م)، وزيد بن ثابت الأنصاري (ت45هـ/ 665م)، وأبو موسى الأشعري (ت42/ 662م)[11].

وعن طريق هذه الطبقة رسخت أقدام علم القراءات بالمدينة خاصة في القرن الثاني على يد ثلة من العلماء، لعل من أشهرهم: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني المقرئ (ت117هـ/ 735م)، ويزيد بن رومان المدني (ت120هـ/ 737م) القارئ مولى آل الزبير بن العوام. والإمام المقرئ شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني (ت130هـ/ 747م)، والمقرئ مسلم بن جندب أبو عبد الله المدني (ت بعد120هـ/ 737م). إلا أن الإمام نافعاً (ت169هـ/ 785م) كان أبرز من خلص إليه علم القراءات بالمدينة، وكان مالك يقول: قراءة أهل المدينة سُنّة. فقيل له: قراءة نافع؟، قال: نعم. ولما سئل أحمد بن حنبل أي القراءة أحب إليك؟، قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن فقراءة عاصم. وقال مالك: نافع إمام الناس في القراءة، وعندما قدم الليث بن سعد المدينة سنة 110هـ/ 728م، وجد نافعاً إمام الناس في القراءة لا ينازع[12].

هذا ولم تقتصر الحياة الثقافية بالمدينة على علوم الشرع الحنيف، بل حوت أيضاً معارف أخرى مثل: الشعر، والأنساب، والإسرائيليات.

كان الشعر من أهم الفنون التي برع فيها أهل المدينة، بل يقرر ابن سلام[13] أن المدينة كانت أشعر قرى الجزيرة. ولعل الملاحظ أن الشعر الجاهلي لم يجر حياله قطيعة معرفية بعد الإسلام بوصفه إحدى قرائح العرب قبل الإسلام،

ولكن على خلاف ذلك نجد النبي ﷺ نفسه يتواصل مع من ينطوي على حكمة، فالشريد بن سويد[14] يخبر عن ذلك بقوله: "استنشدني رسول الله ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت، فأنشدته بيتاً قال: هي حتى أنشدته مائة قافية، فقال: إن كاد ليسلم"[15]. كما أخبر أبو هريرة أنه ﷺ قال عن شعر لبيد: "أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[16]. أما عن حال الشعر في العصرين الأموي والعباسي الأول، فما لبث أن أصبح الشعر أحد المكونات الرئيسة للبيئة الثقافية بالمدينة، حتى وجدنا ابن عباس – رضي الله عنه – يوظفه في شرح غريب القرآن الكريم، وعن ذلك كان يقول: "إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه من أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب"[17]، ولهذا لا ندهش عندما نجده يفرد لشعر أيام العرب يوماً مستقلاً بالتدريس شأن الفقه والحديث[18]. كما نجد كذلك شعر الغزل يقوى حضوره في هذه البيئة الثقافية من جراء تداعيات حركة الفتوح الإسلامية، وما جلبته على مجتمع المدينة من أنماط جديدة من الثقافات وصور من الترف[19]، وهذا ما نلمسه لدى عدد من شعراء المدينة الذين ولوا وجهتهم قِبل هذا اللون من الشعر أمثال: عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، ونصيب بن رباح.

أما عن الأنساب، فعلى الرغم من أن العرب تعاملوا معها بوصفها وسيلة لاجتماعهم وتجمعهم، وأداة للتفاخر فيما بينهم، فإن الإسلام حث على الاتصال بالوجه الحسن منها، فقال ﷺ: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم.."[20]. ثم لم تلبث معارف الأنساب أن أضحت جزءاً من الواقع الثقافي بالمدينة؛ حيث خصصت حِلَق لتدريسها إلى جانب علوم الفقه والحديث والتفسير، فعقيل بن أبي طالب، رضي الله عنه[21]، مثلاً، كانت تطرح له طنفسة (بساط) في مسجد الرسول ﷺ، ويجتمع إليه الناس لتلقي علم النسب[22]. وابن عباس – رضي الله عنه – كان يفرد يوماً لتدريس الأنساب[23]، وكذا عبد الله بن ثعلبة بن صعير المدني[24]، الذي كان يجالسه ابن شهاب الزهري ليتلقى عنه الأنساب[25].

ثم تطور بالأنساب إلى أن وصلت إلى مرحلة التصنيف في القرن الثاني

الهجري من خلال مسارين رئيسين: "نسب الأنصار" الذي وضع فيه لعبد الله بن محمد القداح (ت نحو200هـ/ 815م) مؤلف خاص به، أما المسار الثاني فاهتم بدراسة "أنساب قريش"، ومن أشهر من صنّف فيها ابن شهاب الزهري (ت124هـ/ 741م) الذي كان له "كتاب في نسب قومه"[26]، وكذا الزبير بن بكار (ت256هـ/ 869م) من خلال كتابه " جمهرة نسب قريش وأخبارها".

أما الإسرائيليات، فجاء التواصل معها لما أجاز النبي ﷺ روايتها "..حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[27]، يقول الذهبي (ت748هـ/ 1347)[28]: "فهذا – إذن – نبوي في جواز سماع ما يأثرونه في الجملة". وجاء مصدرها في عصر الصحابة من مسلمة مثل: عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، ويعد أبرز من تواصل مع هذه المعارف في هذه الفترة بالمدينة عبد الله بن عمرو ابن العاص، رضي الله عنه، يقول ابن قتيبة (ت276هـ/ 889م)[29]: "كان قارئاً للكتب المتقدمة"؛ حيث كان له اطلاع على ذلك من جهة زاملتين كان أصابهما يوم اليرموك، وكان يحدّث منهما عن أهل الكتاب[30]، بل وصُف بأنه "أدمن النظر فيها"[31]. أما في القرن الثاني فظهرت معارف الإسرائيليات في مرويات عدد من المؤرخين والإخباريين، مثل: محمد بن كعب القرظي (ت108هـ/ 726م)، ومحمد بن إسحاق (ت152هـ/ 769م) الذي أفاد من مادتها في أخبار قسم المبتدأ من كتابه عن سيرة النبي ﷺ.

لا شك في أن هذه العلوم والمعارف التي ذخر بها الواقع الثقافي بالمدينة، كان لها إسهامها الكبير في بناء التكوين العلمي والثقافي لمحمد بن يحيى، بل سيكون لها أثرها الواضح على رؤيته ومنهجه في التأريخ للمدينة كما سيتضح.

ثانياً - التعريف بأبي غسان محمد بن يحيى المدني

اسمه ونسبه

هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد بن عبيد الكناني، كنيته أبو غسان، ويلقب بالكناني نسبة إلى قبيلة كنانة إخوة بني أسد، كانت ديارهم

بجهات مكة، وبطون هذه القبيلة كثيرة، أشرفها قريش وهم بنو النضر بن كنانة[32]، وعلى الرغم من ثبوت نسبة محمد بن يحيى إلى قبيلة كنانة، فإنه لم يتضح في المصادر إلى أي بطن منها كان ينتمي.

نشأته وحياته

بعد الاضطلاع بفحص المصادر لم نقف على مادة ضافية تعرِّف بنشأة محمد بن يحيى وحياته، ولكن من الواضح أن ولادته ونشأته كانت بالمدينة، حيث تصرح بعض الروايات بأنه "من أهل المدينة"[33]، ولهذا يُنسب بالمدني[34]أو المديني[35]. وربما كانت نشأته على غرار نشأة الصبيان والأحداث في عصره بالمدينة، من حيث البدء بتعلم القراءة والكتابة وحفظ كتاب الله على يد شيوخ الكتاتيب[36]، ثم التتلمذ على كبار علماء المدينة في عصره، الذين أشارت بعض المصادر إلى عدد منهم.

عمله

أشار عمر بن شبة (ت262هـ/ 875م) إلى أن أبا غسان محمد بن يحيى كان يعمل كاتباً، وكانت هي مهنة أبيه وكذا عمه وجديّه من قِبل أبيه وأمه، فقال: "وكان أبو غسان كاتباً"[37]. والمقصود بمهنة الكتابة هنا أي الكتابة في الدواوين، ولكن لا ندري في أي جهة كان اشتغاله بالكتابة، فربما كان يعمل لدى أحد ولاة المدينة في العصر العباسي؛ حيث من الواضح أنه كان محل تقدير من قِبَل العباسيين، كما يدل قول أبي الفضل عبد الرحمن بن جعفر ابن والي المدينة جعفر بن سليمان بن علي العباسي (ت175هـ/ 791هـ): "إن العرب تقول للرجل إذا كان ثالث أبوين له في صناعة، أنتم بيت في كذا وكذا في الصناعة التي هو ثالثهم فيها، وأنتم يا أبا غسان بيت في الكتابة.."[38].

أسرته

لا نعرف عن أسرة محمد بن يحيى، سوى أنها بيت كتابة، فأبوه كان كاتباً، وكذا عمه وجدّاه من قِبل أبيه وأمه، ولكن من الواضح أنهم كانوا كتّاباً

للأمراء والولاة العباسيين؛ فعمه غسان بن عبد الحميد الكناني كان كاتباً لسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس[39]، والظاهر أن ذلك كان عندما كان والياً على البصرة[40]، وربما كان والده كاتباً لدى أمير المدينة من قِبل العباسيين.

كما تشير بعض المصادر إلى أن أباه يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني كان يتولى شرطة المدينة، وكان ذلك بالطبع في العصر العباسي، يقول عنه ابن أبي حاتم، (ت327هـ/ 938م)[41]: "مديني كان على شرطة المدينة"، وكان من تلاميذ ابن إسحاق صاحب السيرة[42].

كما أشارت بعض المصادر أيضاً إلى عمه غسان بن عبد الحميد الكناني المدني، وأنه كذلك من تلاميذ مؤرخ السيرة الأشهر ابن إسحاق (ت152هـ/ 769م) كحال والد أبي غسان[43].

التكوين الفكري والمعرفي لأبي غسان محمد بن يحيى

اشتهر محمد بن يحيى بكونه موسوعي المعرفة؛ حيث وصفه الحافظ ابن مفوز الشاطبي (ت505هـ/ 1111م) بأنه " أحد الثقات المشاهير بحمل الحديث المشهورين بعلم الأدب ورواية السير ومعرفة الأيام"[44].

وإذا أردنا تبيان هذا الجانب، فعلى صعيد الحديث قال عنه ابن أبي حاتم[45]: شيخ، قال النسائي (ت303هـ/ 915م): ليس به بأس[46]، وذكره ابن حبان[47] في كتاب الثقات، كما روى له البخاري في الصحيح[48].

أما على مستوى الفقه فيعد من تلاميذ الإمام مالك في الفقه[49]، بل وصفه السمهودي (ت911هـ/ 1506م)[50] بكونه "أحد أصحاب مالك". هذا ويضاف إلى تكوينه العلمي أيضاً كونه أحد أعلام القرَّاء بالمدينة، فقد ضمنه ابن الجزري عداد المقرئين بالمدينة، بوصفه أحد رواة الإمام نافع في القراءات[51].

وأما تكوينه في الجانب التاريخي، فما نُقل عنه من مرويات يشير إلى أنه كان الجانب الأقوى حضوراً في مقوماته المعرفية، كما سيتضح. وفي نهاية هذا المقام يتسنى القول: إن هذا التكوين الفكري المتنوع والمتعدد المشارب سيكون له أثره المباشر في عنايته بتاريخ المدينة.

وفاة أبي غسان محمد بن يحيى

لم تفصح المصادر عن أي تفاصيل تفيد في تعيين تاريخ محدد لوفاة أبي غسان محمد بن يحيى، ولكن على وجه التقدير يمكن الوقوف على ذلك، من خلال بعض الشواهد التاريخية التي وردت في سياق مروياته؛ ففي حديثه عن دار عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: "وهي الدار التي صارت لمنيرة مولاة أمير المؤمنين، ثم صارت بعد ليحيى بن خالد بن برمك، ثم صارت صافية[52]"[53]، ولمّا كانت وفاة يحيى بن خالد سنة 190هـ/ 805م[54]، فهذا يعني أن أبا غسان كان حيّاً بعد هذا العام؛ لأنه أدرك هذه الدار بعد أن أصبحت صافية.

وثمة قرينة أخرى تؤكد ذلك، تتمثل في تحديده للعام الذي تحطم فيه سقف مسجد النبي ﷺ في إمارة أبي البحتري بن وهب بن رشد[55]، فقال: "وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين ومائة"[56].

ويدعم ما سبق كذلك، وصف المرزباني (ت384/ 994م)[57]، له بـ"المأموني"، الذي يدل على تبنيه لموقف المأمون وانتصاره له، في صراعه ضد أخيه الأمين على الخلافة، وهو ما يعني معاصرته فترة هذا الصراع، التي بدأت من سنة 193هـ/ 808هـ، وانتهت سنة 198هـ/ 813م.

وثمة قرينة أخرى تأتي في سياق حديث أبي غسان عن دار خالد بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام؛ حيث قال: "فباع ولد خالد ذلك النصف من عبد الله بن أبي عروة، ثم صار للفضل بن الربيع، والبعض الآخر بأيدي ولد خالد بن عبد الرحمن[58] اليوم"[59]، ومعلوم أن سنة وفاة الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد ووزير ابنه الأمين كانت سنة 208هـ/ 823م[60]. ومن ثم يمكن أن تكون وفاة محمد بن يحيى تأخرت إلى هذا التاريخ.

وتأسيساً على ما سبق، يتسنى القول: إن أبا غسان محمد بن يحيى كان حيّاً حتى عام 198هـ/ 813م، ومن المحتمل أن تكون سنة وفاته تأخرت بعد هذا التاريخ إلى العقد الأول من القرن الثالث الهجري.

ثالثاً - أبو غسان محمد بن يحيى مؤرخاً للمدينة النبوية

جرى الإشارة آنفاً إلى أن الجانب الإخباري يعد من أهم أسس التكوين المعرفي لأبي غسان محمد بن يحيى، وهذا ما جعله ذا دراية واسعة بأخبار المدينة النبوية ومعالمها، وقد شهد بذلك تلميذه عمر بن شبة فقال: "كان عالماً بأخبار المدينة"[61]. وهنا يقتضي المقام أن نتساءل.. هل صنَّف أبو غسان مؤلفاً أرَّخ فيه للمدينة النبوية ؟.

في الحقيقة لم نقف في المصادر - ولاسيما كتب المعاجم والفهارس - على إشارة صريحة، تدل على أن أبا غسان الكناني كان له مصنف أرخ من خلاله للمدينة النبوية، ولكن ثمة دليلان يثبتان هذا الأمر بوضوح، وهما:

الأول: ذكر السخاوي[62] أن الأمين الإقشهري (ت731هـ/ 1330م) صرح في كتابه الموسوم بـ"الروضة الفردوسية" بأن محمد بن يحيى صنف كتاب "أخبار المدينة"، وأكثر من الرواية عنه في هذا الكتاب[63].

الثاني: تصريح عمر بن شبة في صيغ أدائه بأنه نقل عن هذا الكتاب، حيث يقول: "ومما وجدت في كتاب أبي غسان"[64]. ولكن الأمر بحاجة إلى بيان وإيضاح أكثر لطرق النقل التي اعتمدها في تلقي مروياته عن هذا الكتاب؛ حيث تبين بعد فحص أسانيده أنه نقل عن هذا المصنَّف بالطرق الآتية:

أ - السماع: وهو الطريق الذي عول عليه في نقل جُل مروياته عن أبي غسان، ويقصد به الاتصال والسماع المباشر عن أبي غسان الكناني، وقد عبر عنه في أدائه بمصطلح "حدثنا"، وتجدر الإشارة إلى أن طريق السماع الذي نقل به ابن شبة عن أبي غسان لا يقصد به المشافهة المجردة عن أصول مدونة، بل العكس هو الصحيح؛ لأن طريق السماع يعني أن الشيخ (أبا غسان) يروي الأخبار من أصوله، والتلميذ (ابن شبة) يسمع منه وهو يتابعه من نسخته المقابلة والمصححة على هذه الأصول[65].

ب - في بعض الأحيان ينقل عنه ابن شبة بطريق "العرض"، ويُقصد بذلك أنه كان يقرأ من نسخته المصححة على أبي غسان، وأبو غسان يتابعه ليصوب

له ما قد يقع فيه من أخطاء التصحيف أو ما شابه[66]. ويظهر حضور هذا الطريق في قول ابن شبة: "ومما وجدت في كتاب أبي غسان وقرأه عليّ"[67]. وتعد هذه العبارة هي الصيغة الوحيدة التي ظهرت في أداء ابن شبة حيال نقله عن أبي غسان، وهذا يعني أنه وجد هذا النص مدوناً في صحيفة ولم يسمعه منه، ولكنه حرص أن يرويه عنه بطريق العرض بدلاً من الوجادة؛ حيث إن طريق القراءة أرقى منزلة في النقل من الوجادة عند أهل الحديث.

جـ - طريق الوجادة، ويقصد به أن الراوي ينقل من كتب شيخه من دون سماع أو عرض[68]، وقد اعتمد ابن شبة هذا الطريق في تلقي بعض الروايات، وهذا ظاهر وواضح في عدد من صيغ أدائه، مثل: " ووجدت فيه كتاباً كُتِبَ عنه يذكر فيه.. "[69]، وقوله: " ومما وجدته في كتاب عن أبي غسان.. "[70]، وقوله: " ومما وجدته كتب عن أبي غسان، ولم أسمعه منه.. "[71].

وعلى هذا فإن عمر بن شبة اعتمد طريق السماع، في تلقي غالبية مروياته عن كتاب "أخبار المدينة" لأبي غسان محمد بن يحيى، وفي بعض الأحيان كان ينقل عنه بطريق "العرض"، وفي بعض الأحيان الأخرى بطريق "الوجادة"، إلا أن ذلك كان نادراً وفي الحالات التي يتعذر سماعه من أبي غسان بشكل مباشر.

وتأسيساً على كل ما سبق من أدلة وشواهد، يتسنى القول: إن أبا غسان محمد بن يحيى الكناني كان له مصنّف وسم بـ"أخبار المدينة" أرخ فيه للمدينة وخططها، ومن ثم يعد بذلك أحد رواد التصنيف في هذا المجال.

رابعاً- قراءة تحليلية لمرويات أبي غسان محمد بن يحيى عن معالم المدينة وأخبارها

يلزم في هذا المقام الاضطلاع بقراءة تحليلية لمرويات أبي غسان محمد بن يحيى، طلباً للوقوف على أبعاد خطته وطبيعة مروياته، التي صاغ منها بنية مصنفه "أخبار المدينة"، وذلك من خلال العرض الآتي:

تُظهِر الروايات عناية أبي غسان بتخصيص جانب من أخباره، للحديث عن أسماء المدينة التي عُرفت بها قبل الإسلام وبعده، والملاحظ أن مروياته في هذا الشأن لم يستقها فقط من المصادر الإسلامية، بل نقل فيما يخص هذا الشأن كذلك عن الإسرائيليات[72].

هذا، وقد استفاضت مروياته في الحديث عن المسجد النبوي والآداب المتعلقة به[73]، وما جرى عليه من زيادات وتطور عمراني خاصة في عصر الوليد بن عبد الملك إبان ولاية عمر بن العزيز، وفي هذا الشأن وقف الباحث على نصوص مهمة للغاية، كانت ضمن المفقود من النسخة المحققة من كتاب "تاريخ المدينة" لعمر بن شبة[74].

أما ما يتعلق بحديثه عن مسجد قباء، فقد تبيّن أنه قدّم أقدم وصف لهذا المسجد في عصره، سواء أكان ذلك على صعيد تحديد مساحته، أم على مستوى وصفه الدقيق لمعالمه العمرانية، فعن تحديد قبلته وموضع مصلى النبي ﷺ يقول: "وأخبرني من أثق به من الأنصار من أهل قباء، أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صرف القبلة أن القائم كان يقوم في القبلة الشامية، فيكون موضع الأسطوانة الشارعة في رحبة مسجد قباء التي في صف الأسطوانة المخلقة المقدمة التي يقال لها: إن مصلى رسول الله ﷺ إلى حرفها قال: وأخبرني أيضاً، أن مصلى رسول الله ﷺ في مسجد قباء بعد صرف القبلة، كان إلى حرف الأسطوانة المخلق كثير منها المقدمة إلى حرفها الشرقي، وهي دون محراب مسجد قباء على يمين المصلي فيه".. ثم يبين في نص آخر مكوناته المعمارية، مثل رحبته وعدد أسطواناته وأبوابه ومنارته مع بيان كل ذلك بالذراع، إضافة إلى تحديد قياسات طوله وعرضه، ويظهر ذلك في قوله: "..طول مسجد قباء وعرضه سواء، وهو ست وستون ذراعاً، وطول ذرعه في السماء تسع عشرة ذراعاً، وطول رحبته التي في جوفه خمسون ذراعاً، وعرضها ست وعشرون ذراعاً، وطول منارته خمسون ذراعاً، وعرضها تسع أذرع وشبر في تسع أذرع، وفيه ثلاثة أبواب، وثلاث وثلاثون أسطوانة، ومواضع قناديله لأربعة عشر قنديلاً"[75].

لم تقتصر مرويات أبي غسان على مسجد قباء ومسجد النبي ﷺ، بل تطرقت لبيان المساجد والمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ والتي لم يصلِّ فيها[76]، وكذا مصلاه ﷺ في الأعياد والطريق المؤدية إليها[77].

هذا، وتكشف مرويات أبي غسان في هذا الشأن عن مواد العمارة وطرزها التي طرأت على المدينة في زمن الراشدين والعصر الأموي، متمثلة في: مقصورة الإمام التي بناها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من الطوب اللبن، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز وأعاد بناءها من الساج[78]. وكذا الحجارة المنقوشة التي رفع بها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - جداري مسجد النبي ﷺ في الناحية الجنوبية والغربية، وهي ذات الحجارة التي بنى بها عمر بن عبد العزيز المساجد على المواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ بالمدينة[79].

كما عرضت مروياته لأعمال تبليط محيط مسجد النبي ﷺ الخارجي بالحجارة من جهاته الأربع، بأمر من معاوية بن أبي سفيان[80]. كما أشارت أيضاً إلى استخدام أحجار المرمر في تبليط المكان الذي حول منبر النبي ﷺ في العصر العباسي، وجرى تجديده أكثر من مرة[81]. كما تناولت مروياته في هذا السياق كذلك كتابة الآيات القرآنية على جدران مسجد النبي ﷺ من الداخل ولاسيما جدار القبلة، وكان ذلك بإيعاز من عمر بن عبد العزيز[82].

والذي يظهر أن كثيراً من صور التطور العمراني المشار إليها، جاءت تأثراً بنمط العمران البيزنطي الذي ورثه الأمويون عنهم في بلاد الشام، ويتجلى هذا المعنى في الرواية التي أوردها أبو غسان محمد بن يحيى، فيما يخص قول الوليد بن عبد الملك لأبان بن عثمان: "أين بناؤنا من بنائكم؟. فقال أبان: إنا بنيناه بناء المساجد، وبنيتموه بناء الكنائس"[83].

كما أولت مرويات أبي غسان محمد بن يحيى عنايته الكبيرة بخطط المدينة، ممثلة في دور الصحابة من المهاجرين ورباعهم بها، فتحدث مثلاً: عن دور بني زهرة، ودور بني تيم، ودور بني مخزوم، ودور بني عدي بن كعب، ودور بني عامر بن لؤي.. ويظهر من مروياته في هذا الشأن عنايته بالرصد التاريخي لهذه الدور، فكان يُعنى ببيان من آلت إليهم ملكية هذه الدور حتى

عصره، وما جرى عليها من أعمال هدم أو بناء، وما كانت تستخدم فيه من أغراض أخرى غير السكن، مثل: دار عبد الرحمن بن عوف التي كان بها الديوان وبيت المال[84].

وفي هذا الإطار نجد أبا غسان يلمح في حديثه عن بعض الأنماط العمرانية المستخدمة في بناء أحياء المدينة، مثل: "الخوخة"، وهي بلغة أهل الحجاز حاجز مفتوح بين كل دارين لم ينصب عليه باب[85]. و"الزقاق" وهو الطريق الضيق دون السّكة سواء أكان نافذاً أم غير نافذ، وسميت بذلك لاصطفاف الدور فيه[86]، وتشير مروياته إلى أن هذه الأنماط العمرانية كانت تسمى أحياناً بأسماء الصحابة وأبنائهم، مثل: زقاق "عاصم بن عمر بن الخطاب"[87]، وخوخة "أبي بكر الصديق"[88]. كما عرضت مروياته كذلك للقصور التي بنيت بالمدينة، مثل: قصر خَلّ، وقصر بني جَدِيلَة[89]، وقصر عبدالعزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، الذي يقع على ثلاثة أميال من المدينة على يمين من ذهب إلى مكة[90].

كما تناولت مروياته أيضاً موضع الجنائز الذي كان يصلى عنده على الموتى[91]، ومقبرة البقيع[92]، وقبور أبناء النبي ﷺ وأزواجه وغيرهم من أصحابه[93]، وكذا قبور شهداء أحد[94]. وفي هذا الإطار تشير مروياته أيضاً إلى عادات اجتماعية يبدو أنها طرأت على مجتمع المدينة في عصره، مثل: وضع شواهد من الحجارة تعرّف بأسماء أصحاب هذه القبور، فنقل عن محمد بن زيد بن علي[95] أنه: ". . كان حفر فوجد على ثمانية أذرع حجراً مكسوراً مكتوباً في بعضه: أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبذلك عرف أنه قبرها. ."[96]. بل أورد ما يشير إلى وجود بعض القبور التي بنيت من الحجارة بالمدينة، بدليل قوله: "فأما القبور التي في الحظار بالحجارة بين قبر حمزة وبين الجبل، فإنه بلغنا أنها قبور أعراب أقحموا زمن خالد[97]؛ إذ كان على المدينة"[98]، وأيضاً ما نقله عن شيخه عبد العزيز بن عمران (ت197هـ/ 812م)، أن عقيل بن أبي طالب لما حفر في داره بئراً وقع على حجر منقوش مكتوب فيه: "قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب. ."[99].

كما أمدنا أبو غسان بمادة ثرية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية، خاصة فيما يتعلق بأموال النبي ﷺ وصدقاته ونفقاته بالمدينة، التي تمثلت فيما آل إليه من مزارع سواء أكان ذلك عن طريق تشريع الخمس أم كان على طريق الهبة، وأمره ﷺ أن تكون صدقة للمسلمين بعد وفاته، لينفق منها على شؤونهم[100].

وفي هذا الإطار أيضاً تناولت مروياته صدقات الصحابة من المهاجرين وغيرهم بالمدينة، التي شملت الدور والمزارع والعيون التي وقفوها على الفقراء والمساكين، وعلى كل شؤون المسلمين في أوقات السلم والحرب، ومن أمثلتها: سقاية العباس بن عبد المطلب[101]، وعين علي بن أبي طالب بينبع[102].

وفي السياق الاقتصادي أيضاً خصص أبو غسان محمد بن يحيى حيزاً من أخباره للحديث عن أسواق المدينة، سواء أتلك التي كان وجودها قائماً قبل الإسلام واستمرت بعده، مثل: سوق بني قينقاع، وسوق زَبَالة[103]، أو التي أحدثها النبي ﷺ بعد الإسلام والتي عرفت بسوق "بقيع الخيل"[104].

كما أن ثمة إشارات وردت في سياق مرويات أبي غسان، أرشدت إلى عدد من الحرف والصناعات التي كانت تمارس في المدينة، مثل: البَرَّادين[105]، والحَنَّاطين[106]، والحَطَّابين[107]. كما يبدو من مروياته أن بعض هذه الحرف كانت تمارس في أزقة المدينة، ويبدو أيضاً أن كل زقاق كان يختص بنوع معين من الحرف وكان يسمى بها، مثل: "زقاق القَفَّاصين"[108].

وفي هذا السياق أورد ما يشير إلى أن بعض أصحاب الحرف، كانوا يمارسون مهنتهم داخل مسجد النبي ﷺ، من لدن عصر عثمان بن عفان، رضي الله عنه[109]، والظاهر أنهم بالغوا في ذلك حتى إن عمر بن عبد العزيز استأجر حرساً لمنعهم من ممارسة حرفتهم في المسجد[110].

كما لم يغفل أبو غسان من خلال مروياته الإشارة إلى عدد من مظاهر الحياة الثقافية بالمدينة، مثل: حديثه عن نشأة فن القص والقصاص[111]، وما قيل في المدينة من الشعر[112]، وكذا حديثه عن الرحبة المعروفة بـ "الْبُطَيْحَاء" التي خصصها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لمن يريد أن ينشد الشعر[113].

ليس هذا فحسب بل أشارت مادته أيضاً إلى "الكتاتيب" بوصفها إحدى مؤسسات التعليم بالمدينة، ويبدو أنها كانت تُعرف بأسماء القائمين على التعليم فيها، مثل: "كتّاب عروة"[114]، و"كتّاب ابن زَيَّان"[115].

والظاهر من مرويات أبي غسان أيضاً، أنه أفرد قسماً من كتابه للحديث عن سيرة النبي ﷺ وسراياه ومغازيه، ويدل على ذلك مروياته عن شمائله[116]، وسرية نخلة[117]، وصلح الحديبية[118]، وغزوة خيبر[119].

كما خصص لكل خليفة من الخلفاء الراشدين الأربعة ترجمة كبيرة عرض خلالها لملابسات توليه الخلافة، وما جرى في عصره من منجزات حضارية، ووقائع اجتماعية، وأحداث سياسية، وتنظيمات إدارية[120].

هذا، وتشهد مرويات محمد بن يحيى نضج وعيه الجغرافي، ويتجلى ذلك في تحديده الدقيق مواقع الجبال المشهورة، ومقدار أبعادها من المدينة، ومثال ذلك قوله: "فأما "أحد" فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها في شاميها، وأما "وَرِقَان" فبالروحاء من المدينة على أربعة برد، وأما "رَضْوَى" فبينبع على مسيرة أربعة ليال. . "[121].

كما يتجلى هذا الوعي أيضاً في مسحه لما تحويه المدينة من آبار مثل: "بئر الحفير"، و"بئر الْبُوَيْرِمَة"[122]. وكذا بيانه لوديانها، وما كان يصب فيها من السيول، وقف على ذلك في وصفه الدقيق لسيل "بُطحان"[123].

ولم يتوقف الوعي الجغرافي لديه عند حد الوصف، بل حاول أن يبرز آثار الظواهر الطبيعية على مجتمع المدينة، مثل بيانه لما كان يخلفه سيل "مَهْزُور" من كوارث وآثار سلبية على المدينة، خاصة في خلافة عثمان، رضي الله عنه؛ الأمر الذي دفعه إلى إنشاء سد أو ما عرف بالردم عند بئر "**مِدْرَى**"، ليرد به السيل عن مسجد النبي ﷺ ودور المدينة[124].

وعلى الرغم مما يلمس في مرويات أبي غسان من تنوع وثراء وشمول فيما يتعلق بأخبار المدينة، فإن المدقق فيها سيلحظ أنها لم تُعن بأحوال تاريخها قبل الإسلام، باستثناء بعض الإشارات العابرة مثل حديثه عن خبر خالد بن سنان

العبسي[125]، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي القول بأنه لا نستطيع أن نعتمد ذلك حكماً قاطعاً؛ نظراً لفقدان هذا الكتاب، وأيضاً لضياع جزء كبير من كتاب "أخبار المدينة" لعمر بن شبة الذي يعد أهم مصدر تاريخي حوى مروياته.

يتجلى مما سبق، أن أبا غسان محمد بن يحيى كانت لديه خطة واضحة عالج من خلالها موضوعات كتابه التي اتسمت بالتنوع والثراء والشمول، وأن هذا الخطة عنيت – كما هو واضح – ببيان الجانب العمراني والحضاري والجغرافي، وكذا الجانب السياسي للمدينة النبوية، ولم يسر فيها على نهج من تلاه في التأريخ للمدن الذين عنوا بالجانب العلمي المتمثل في الاهتمام بتراجم علمائها وذلك خدمة لعلوم الحديث، مثل صنيع الخطيب البغدادي (ت463هـ/ 1330م) في تاريخ بغداد، وأبو عبد الله الحاكم (ت405هـ/ 1014م) في تاريخ نيسابور.

خامساً - منهج أبي غسان محمد بن يحيى في كتابة تاريخ المدينة من خلال مروياته

لعل من المستحسن أن يبدأ حديثنا في هذا المقام عن موارد أبي غسان التي استقى منها مادته التاريخية، وقد تبين بعد فحص أسانيد مروياته أن شيوخه المباشرين على نوعين:

شيوخ صرح بأسمائهم وهم الأغلب، وشيوخ لم يصرح بأسمائهم، أما الذين صرح بأسمائهم فزاد عددهم على أربعين شيخاً، كانوا متنوعي الثقافة بين فقهاء ومحدّثين وإخباريين وأدباء، مثل: الإمام مالك بن أنس، وعبد العزيز بن عمران، ومحمد بن إسحاق . . ومنهم من كان مجهول الحال، حيث لم نعثر على تراجم تعرف بهم، مثل: الحكم بن سليم، وسعيد بن معاذ الديناري، ويبدو أنهم لم يكونوا من المشهورين بحمل العلم؛ ولهذا أعرضت المصادر عن الترجمة لهم.

وبعد إحصاء عدد ما نقله أبو غسان من مرويات عن كل شيخ من شيوخه، تبين أنهم ليسوا على مستوى واحد من حيث الأهمية التاريخية، فكثير منهم لم يرو عنه سوى رواية أو روايتين، وبعضهم نقل عنه عشرات الروايات، وعلى هذا فإذا أردنا أن نقف على أهم شيوخه الذين نقل عنهم، فيأتي على رأسهم:

شيخه أبو ثابت عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني؛ فهو من نسل الصحابي عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه. كان أديباً شاعراً نسّابة، إلا أنه كان ضعيفاً في الحديث، وأظهر عمر بن شبة علّة ضعفه في أنه كان: "كثير الغلط في حديثه؛ لأنه أحرق كتبه، فإنما كان يحدّث من حفظه"[126].

إذن، فمرد ضعفه في الحديث لم يكن لقدح في عدالته كتعمده الكذب أو الوضع، بل جاء نتاج خلل في ضبطه لاعتماده الكلي على الذاكرة في الرواية بعدما أحرق كتبه؛ مما أسفر في النهاية عن كثرة خطئه، فخرج بذلك عن دائرة الثقات المتقنين. ويحتمل أن يكون محمد بن يحيى اتصل به ونقل عنه قبل أن تحترق كتبه؛ لكونه كان مقيماً بالمدينة وملازماً له؛ حيث لم نقف على أي إشارات تدل على أن أبا يحيى ترك المدينة ونزح إلى بلد آخر. ويعد عبد العزيز ابن عمران أكثر من روى عنه أبو غسان؛ مما يدل على سعة معرفته بأخبار المدينة، وقد أشار ابن النديم (ت348هـ/ 1047م)[127] إلى أنه صنَّف كتاباً وسمه بـ"الأحلاف"، ولكنه لم يبين طبيعة موضوعه.

ومن أهم موارده أيضاً الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى سمعان الأسلمي مولاهم المدني، صنف كتاب "الموطأ" وكان أضعاف موطأ الإمام مالك من حيث كم الروايات، قد ينسب إلى جده، ضعفه جماعة في الحديث مثل ابن المبارك وغيره؛ لكونه نسب إلى القدرية، إلا أنه كان ثقة عند الشافعي، وحديثه في مسنده، توفي سنة 184هـ/ 800م[128]. ومن الواضح أنه كان على معرفة واسعة بتاريخ المدينة ومعالمها، وأفاد منه أبو غسان في كتابه. حيث بينت الروايات المجموعة من المصادر، أنه اعتمد عليه في مواضع عديدة من كتابه.

ومن موارده أيضاً شيخه محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك، مولاهم المدني، المحدث الثقة، ولم يرحل في طلب الحديث، كان صدوقاً صاحب معرفة وطلب، قال عنه النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة 200هـ/ 815م بحسب قول البخاري[129]، ويعد ابن أبي فديك

كذلك من مصادر محمد بن يحيى الرئيسة في كتابه، بحسب ما دل على ذلك النصوص المجموعة.

ومن هذه الموارد أيضاً شيخه أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبي عبيد الدراوردي الجهني مولاهم المدني، يعده أهل الحديث في الثقات إذا حدّث من كتابه، أما إذا حدث من حفظه فكان يَهِم ولهذا ضعفه بعضهم من هذا الوجه، توفي عام 187هـ/ 802م[130]، ونقل عنه أبو غسان كذلك في مواضع من كتابه، بحسب ما أفادت النصوص المجموعة.

أما عن شيوخ محمد بن يحيى الذين لم يفصح عنهم بشكل صريح، فقد استعاض عن التعريف بهم بصيغ الإبهام والتجهيل، وعلى الرغم من عدم الوقوف على سبب لذلك، فإن الواضح من هذه الصيغ أنهم كانوا ثقات عنده فيما يخص الجانب الإخباري؛ لكونهم ذوي دراية واسعة بمعالم المدينة وآثارها، ويظهر ذلك في قوله: "حدثنا من نثق به من أهل العلم"[131]، "وأخبرني من أثق به من الأنصار من أهل قباء"[132]، و"حدثنا من نثق به من آل حزم"[133].

أما عن منهج محمد بن يحيى في جمع مروياته ونقلها عن شيوخه، فاستخدم في ذلك منهج الإسناد، ومرد ذلك بالطبع إلى تكوينه المعرفي بوصفه محدّثاً، لذا نجده يستخدم طريق "السماع" و"العرض" في النقل، ويظهر ذلك في أدائه بصيغة "حدثنا"، و"أخبرنا"، ومن المؤكد أنه كان على نفس منهج أهل الحديث بالمدينة والحجاز عموماً في التسوية بين السماع والعرض[134].

وفيما يتعلق بأدائه بصيغة "العنعنة" فلا تحمل على الاتصال؛ لأن بعض من نقل عنهم بهذه الصيغة، لم يلتقهم ولم يسمع منهم بشكل مباشر، مثل: ابن أبي يحيى، حيث أكد عمر بن شبة[135] ذلك بقوله: "كل ما كان عن ابن أبي يحيى، فهو من قول أبي غسان، ولم يلقه". والذي يظهر من أسانيده أنه نقل عنه بطريق "الوجادة" أو بواسطة راوٍ آخر سمع من ابن أبي يحيى، وهذا ما يظهر في أدائه بصيغة "عن ابن أبي يحيى"[136]، وقوله: "حُدِّثْنَا عن ابن أبي

يحيى "[137]. هذا ويلزم الإشارة إلى أن أداء أبي غسان بصيغة "العنعنة"، يمكن أن يكون في جانب منه بأثر من تصرف من اقتبس عنه وليس من صنيعه.

ولعل من الملاحظ في هذا السياق أن أبا غسان كان أحياناً يأتي في الموضوع الواحد بأكثر من رواية، للإفادة مما يتفرد به كل طريق من تفاصيل تاريخية لا يشملها الطريق الآخر، مثال ذلك روايته بصدد البلاط الذي أنشأه معاوية بن سفيان حول المسجد النبوي[138].

وجدير بالذكر أيضاً أن أبا غسان محمد بن يحيى لم يقتصر في جمعه للمادة التاريخية ونقله لها عن شيوخه، على طرق النقل المتعارف عليها لدى المحدِّثين، بل إن وعيه التاريخي كان يدفعه لسؤالهم عما كان يجهل معرفته من مواضع أو معالم، مثل سؤاله شيخه عبد العزيز بن عمران عن موضع بالمدينة يسمى "حُسَيْكَةُ "[139].

أما على صعيد النقد والتحقيق التاريخي، فتشير بعض الروايات إلى ممارسة محمد بن يحيى لما هو معروف عند أهل الحديث بـ "شرح الغريب" أو لدى منظري منهج البحث التاريخي بـ "النقد الباطني الإيجابي"، ويقصد به شرح وتفسير الألفاظ الغريبة والمبهمة للوقوف على المعنى الحقيقي المقصود من الرواية التاريخية[140]، وقد توسل أبو غسان بهذا المنهج حيال عدد من غريب الألفاظ التي تتعلق ببعض مواضع المدينة ومعالمها وآثارها، ومن الأمثلة الدالة على ذلك، تفسيره لما سمي بـ "جَمَّاءِ أم خالد"، حيث يقول: "وأما جَمَّاءِ أم خالد، يعني الجَمَّاءِ التي بالعقيق، التي في أصلها بيوت الأشعث، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي. . "[141].

ومن ذلك أيضاً تفسيره لمصطلح "السقاية" الذي ارتبط بصدقة العباس بن عبدالمطلب، فيقول عنها: "تصدق العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – بحل له كان بِيَنْبُعَ على عين يقال لها: عين جُسَّاس، على شراب زمزم، فذلك الحق يقال له: السقاية؛ لأنه تصدق به على زمزم، وهو الثمن من تلك العين. . "[142].

وعن تفسيره لمسمى (قصر خَلّ) الذي بُني بأمر من معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، يقول أبو غسان: "وإنما سمي قصر خَلّ لأنه على الطريق، وكل طريق في حرة أو رمل يقال له: الخَلّ"[143].

ففي بعض الأحيان كان أبو غسان يأتي في الموضوع الواحد بأكثر من رواية ربما لتأكيد قوة الخبر وصحته، مثال ذلك ما رواه عن مالك بن أنس وغيره بشأن حادثة إجلاء عمر بن الخطاب ليهود خيبر[144].

هذا، وتشير بعض الروايات إلى أنه كان يلجأ في حال تعارض الروايات إلى إعمال منهج الترجيح، ويظهر ذلك في موقفه من تعارض الروايات بشأن بناء موضع القبلة في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعن ذلك يقول: " . . فالله أعلم أي ذلك الحق. غير أن الأقوى عندنا أنها على بناء عثمان"[145].

ومن ناحية أخرى نهض محمد بن يحيى بالخصائص الجغرافية بالمدينة؛ لأن تكون معياراً نقدياً لتقويم بعض الآراء التاريخية، مثال ذلك قوله: "وقد اختلف في الصدقات، فقال بعض الناس هي أموال قريظة والنضير. . والذي تظاهر عندنا أنها أموال النضير، ومما يدل على ذلك أن "مَهْزُوراً" يسقيها، ولم يزل يُسمع أنه لا يسقي إلا أموال بني النضير"[146].

هذا، وتؤكد مجموعة من الشواهد أن أبا غسان كان يتبع منهج التحقيق الميداني، ويتجلى ذلك في اضطلاعه بتحديد المسافات بين المعالم الأثرية والتاريخية التي ظلت باقية بالمدينة إلى عصره، مثال ذلك قوله: "ما بين الحجرة الشريفة ومقام النبي ﷺ الذي كان يقوم فيه ثمان وثلاثون ذراعاً، وأن ما بينه وبين المنبر الشريف. . "[147]. ونقل عنه أيضاً يحيى العقيقي (ت277هـ/ 890م) في كتابه "أخبار المدينة" قياسه للزيادة التي جرت على أصل المسجد النبوي إلى موضع قبلته الجديدة بعد التوسعة فقال (أي أبو غسان): "وجدنا ذرع ما بين مسجد النبي ﷺ الذي كان بعهده إلى جدار القبلة اليوم الذي فيه المحراب عشرين ذراعاً وربعاً، وهذه هي الزيادة التي زيدت بعد النبي ﷺ"[148].

ونقل عنه ابن شبة[149] أيضاً قوله: "أن ذرع ما بين مسجد النبي ﷺ الذي عنده دار مروان وبين المسجد الذي يصلي فيه العيد بالمصلى ألف ذراع".

ومن الواضح أن أبا غسان محمد بن يحيى كان دقيقاً في قياساته، بدليل أن السمهودي قد تتبعه فيما ذكره في النص الأخير، فعلق بقوله: "وقد ذرعناه فكان كذلك"[150].

وعلى صعيد آخر أظهر محمد بن يحيى اهتماماً بالغاً بالوثائق؛ حيث كان يُعنى بنسخها وتوظيفها في موضوعات كتابه؛ الأمر الذي يدل على نضج وعيه التاريخي، ويبدو أن مهنته بوصفه كاتباً أفادته في هذا الجانب، ويمكن الوقوف على ذلك في قوله: "حدثنا من نثق به من آل حزم وغيرهم، أن رسول الله ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني العقيق، وكتب له فيه كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث.."[151]. ونسخه أيضاً لكتاب وقف سعد بن أبي وقاص لداره بالمدينة: "وهذه نسخة كتاب صدقة سعد في دوره حرفاً بحرف على هجائها وصورة كتابها، أخذته من كتابه بعينه.."[152]. وكذا نسخه لكتاب صدقة علي بن أبي طالب وعن ذ، لك يقول: "وهذه نسخة كتاب صدقة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه حرفاً بحرف نسختها على نقصان هجائها وصورة كتابها، أخذتها من أبي أخذها من حسين بن زيد"[153].

ومما يدل على رقي وعيه التاريخي أيضاً، توظيفه للنقوش الأثرية لتأكيد صحة الخبر وقوته، والشاهد على ذلك كشفه عن موضع قبر السيدة أم سلمة – رضي الله عنها – من خلال حجر كان اسمها مكتوباً عليه، وعن ذلك يقول: "سمعت من يذكر، أن قبر أم سلمة – رضي الله عنها – بالبقيع، حيث دفن محمد بن زيد بن علي، قريباً من موضع فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأنه كان حفر فوجد على ثماني أذرع حجراً مكسوراً مكتوباً في بعضه: أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبذلك عرف أنه قبرها.."[154].

ويدل على ذلك أيضاً حديثه عن (قصر **خَلّ**) حيث يقول: "وأما قصر خل الذي بظاهر الحرة على طريق دومة، فإن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – أمر

النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – ببنائه؛ ليكون حصناً لأهل المدينة. . وفيه حجر منقوش فيه: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، مما عمل النعمان بن بشير. . "[155].

فضلاً عما سبق، كان للشعر حضور قوي في بنية كتاب محمد بن يحيى عن أخبار المدينة، ويعود ذلك بالطبع إلى تكوينه الأدبي، ويكفي دليلاً على ذلك أنه أفرد باباً تناول فيه ما نظمه الشعراء من أبيات، تكشف عن حبهم للمدينة والشوق إليها، مثل الأبيات التي قالتها أعرابية لما أصاب الناس مرض بالمدينة:

يَا رَبِّ بَاعِدْ عَنِّي مِنْ ضَرَارِ مِنْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ذِي الْمَنَارِ[156]

كما اتخذ أبو غسان من الشعر أداة يستدل بها على معالم المدينة، ونجد ذلك بعد أن سأل شيخه عبد العزيز بن عمران عن موضع "حُسَيْكة"، أردف جوابه ببعض أبيات من الشعر تدل عليها فقال: "وفيها يقول الشاعر:

صَبَحْنَاهُمُ بِالسَّفْحِ يَوْمَ حُسَيْكَةٍ صَفَائِعَ بُصْرَى وَالرُّدَيْنِيَّةِ السَّمْرَا

فَمَا قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ لِقِرَاعِنَا وَلَا نَاهَبُونَا يَوْمَ نَزْجُرُهُمْ زَجْرَا[157]

سادساً - أثر أبي غسان محمد بن يحيى فيمن أتى بعده من المؤرخين

تظهر المادة المصدرية المجموعة أن أبا غسان كان له أثره الواضح على عدد من المؤرخين عبر العصور، لعل أبرزهم تلميذه عمر بن شبة، يقول السخاوي[158]: "وأكثر من الرواية عنه في أخبار المدينة له". بل نرجح أن خطة ابن شبة في تبويب موضوعاته وترتيبها جاءت بأثر من منهج شيخه أبي غسان في تاريخه "أخبار المدينة"، حيث سنجد أن جل موضوعات كتابه تعتمد في الأساس على مرويات أبي غسان محمد بن يحيى.

كما أفاد من مادة هذا الكتاب أيضاً أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت285هـ/ 898م)، في كتاب "المناسك وأماكن طرق الحج. . ".

وممن نقل عنه أيضاً – بشكل كبير – الأمين الأقشهري في كتابه "الروضة الفردوسية. . "، يقول السخاوي[159]: "وأكثر الأمين من النقل عنه".

أما السمهودي فنقل الكثير من مروياته بواسطة تلميذه عمر بن شبة، وفي بعض الأحيان عن طريق نسخة كتاب "أخبار المدينة" ليحيى العقيقي، أو من كتاب "الروضة الفردوسية" للإقشهري.

خاتمة البحث

تأسيساً على ما سبق فقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أوضحت الدراسة معالم الواقع الثقافي بالمدينة التي تشكل منها التكوين العلمي والمعرفي لمؤرخ المدينة محمد بن يحيى، حيث تمثلت في العلوم الشرعية إضافة إلى معارف الشعر والأنساب والإسرائيليات.
- كشفت الدراسة عن واحد من رواد التأريخ للمدينة النبوية، وهو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد بن عبيد، الذي كان يلقب بأبي غسان، والمنسوب إلى قبيلة كنانة.
- أوضحت الدراسة أن أبا غسان محمد بن يحيى كان مدني المولد والنشأة، وإن لم نقف على كثير من تفاصيل حياته في هذه المرحلة؛ نظراً لندرة المادة التاريخية الخاصة بذلك.
- كشفت الدراسة أن أبا غسان كان يعمل كاتباً بالديوان لبني العباس، وترجح أن يكون ديوان المدينة، كما تبين أنها كانت مهنة أبيه وعمه وجدّيه من قِبل أبيه وأمه. كما اتضح أيضاً أن أباه يحيى بن علي كان يتولى شرطة المدينة، وأنه هو وعمه غسان بن عبد الحميد كانا من تلاميذ مؤرخ السيرة محمد بن إسحاق.
- أبانت الدراسة التكوين العلمي والمعرفي لأبي غسان محمد بن يحيى، حيث اتضح أنه كان محدثاً ثقة، فقيهاً على مذهب مالك، عالماً بالأدب ورواية السير والأخبار، هذا إلى جانب كونه أحد أعلام القرَّاء بالمدينة.
- تبين من خلال الدراسة أن المصادر لم تفصح عن تاريخ محدد لوفاته، إلا أنه في ضوء بعض القرائن والشواهد التاريخية قد اتضح أنه كان حياً بأن أبا غسان

محمد بن يحيى كان حيّاً حتى عام 198هـ، ومن المحتمل أن تكون سنة وفاته تأخرت بعد هذا التاريخ إلى العقد الأول من القرن الثالث الهجري.

- أثبتت الدراسة بجلاء من خلال عدد من القرائن والشواهد التاريخية، أن أبا غسان محمد بن يحيى صنّف كتاباً وسم بـ"أخبار المدينة"، أرخ من خلاله للمدينة النبوية وخططها، وما جرى على أرضها من وقائع وأحداث.
- اتضح بعد القيام بقراءة تحليلية لمرويات أبي غسان محمد بن يحيى التي اقتبستها عدد من المصادر من كتابه "أخبار المدينة"، أنه كان لديه خطة واضحة عالج من خلالها موضوعات كتابه التي اتسمت بالتنوع والثراء والشمول، حيث اتسعت لتشمل الجانب العمراني، والحضاري، والجغرافي، والاقتصادي، والسياسي للمدينة النبوية حتى عصره.
- أوضحت الدراسة أن شيوخ محمد بن يحيى الذين استقى منهم مادته التاريخية، كانوا متنوعي الثقافة والعلم، فمنهم: الفقهاء والمحدّثون والإخباريون والأدباء، وكان منهم من أفصح عن أسمائهم، ومنهم من لم يفصح عنها.
- كما تبين من خلال الدراسة أن شيوخ محمد بن يحيى لم يكونوا على مستوى واحد من حيث الأهمية التاريخية، فكثير منهم لم يرو عنه سوى رواية أو روايتين، وبعضهم نقل عنه عشرات الروايات، وكان أبرزهم من حيث الكم والقيمة التاريخية، شيخه أبو ثابت عبد العزيز بن عمران المدني، والفقيه المدني إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى.
- كشفت الدراسة كذلك أن محمد بن يحيى اتبع منهج المحدِّثين في إسناد أخباره، من خلال الطرق المعتمدة لديهم مثل: السماع والعرض. إلا أنه بدافع من وعيه التاريخي لم يكتف بهذه الطرق في النقل، حيث كان يعمد في بعض الأحيان إلى سؤالهم عما كان يجهل معرفته من المعالم والأخبار.
- كشفت الدراسة أيضاً عن أن محمد بن يحيى كان يمارس ما يُعرف عند منظري منهج البحث التاريخي بـ"النقد الباطني الإيجابي"، المتمثل في شرح

الألفاظ الغريبة والمبهمة التي كانت ترد في بعض الروايات، للوقوف على حقيقة مضمونها.

- كما تبين من خلال الدراسة أن أبا غسان، كان يأتي في الموضوع الواحد بأكثر من رواية ربما لتأكيد قوة الخبر وصحته. كما اتضح أيضاً أنه كان يُعمِل منهج الترجيح بين الروايات حال تعارضها.
- تبين كذلك من خلال الدراسة أن محمد بن يحيى نهض بالخصائص الجغرافية بالمدينة، لأنْ تكون معياراً نقدياً لتقويم بعض الآراء التاريخية، وتصويب ما تنطوي عليه من أخطاء.
- وقفت الدراسة من خلال عدد من الشواهد، أن أبا غسان كان يتبع منهج التحقيق الميداني، ويتجلى ذلك في اضطلاعه بتحديد المسافات بين المعالم الأثرية والتاريخية التي ظلت باقية بالمدينة إلى عصره.
- كشفت الدراسة كذلك عن رقي الوعي التاريخي لدى محمد بن يحيى في اهتمامه البالغ بالوثائق والنقوش، وتوظيفها في موضوعات كتابه.
- كما أوضحت الدراسة أن أبا غسان، كان له أثر كبير من خلال كتابه "أخبار المدينة"، على من جاء بعده من المؤرخين سواء أكان ذلك على مستوى المادة التاريخية، أم كان على صعيد خطته في ترتيب موضوعات كتابه وتبويبها، ومن أمثلة هؤلاء المؤرخين: عمر بن شبة، ويحيى العقيقي، والإقشهري، والسمهودي.
- أوضحت الدراسة أن الشعر كان له حضور قوي في مادة كتاب محمد بن يحيى، بل اتخذه أداة ليستدل بها على معالم المدينة.

الهوامش والمراجع

(1) سزكين، فؤاد سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ترجمة: محمود فهمي حجازي، فهمي أبو الفضل، ج1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1397هـ/ 1977م، ص546.

(2) روى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال: "المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها، ولا يُحْدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: **التاريخ الكبير**، ج1، ج7، ط1، حيدر آباد: دائرة

المعارف العثمانية، د.ت. **الجامع الصحيح**، تحقيق: مصطفى الدين البغا، ج2، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ/ 1978م، ص661.

(3) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها" صحيح البخاري 2/ 663.

(4) ثمة مؤلفات أخرى أرخت للمدينة المنورة ومازالت مفقودة، مثل: كتاب "تاريخ المدينة" لمحمد بن الحسن بن زبالة (توفي قبل سنة 200هـ)، وكتاب "تاريخ المدينة" ليحيى العقيقي (277هـ)، وكتاب "المدينة" لأبي الحسن المدائني (ت225هـ).

(5) الفسوي، يعقوب بن سفيان الفسوي: **المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ج1، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ/ 1981م، ص679، 696.

(6) ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: **المسند**، ج2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1405هـ/ 1985م، ص299.

(7) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج3، القاهرة: دار الفكر، د.ت، ص357.

(8) الجامع الصحيح، 1/ 49.

(9) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج9، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، ص205.

(10) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ج1، ط2، القاهرة: المكتبة العلمية، 1392هـ/ 1972م، ص79.

(11) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/ 1997م، ص9: 20.

(12) معرفة القراء الكبار، ص108.

(13) **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود شاكر، ج1، ط1، جدة: مطبعة المدني، د.ت، ص52.

(14) هو الشريد بن سويد الثقفي، سكن المدينة والطائف، ويقال كان اسمه (مالك)، شهد بيعة الرضوان ووفد على النبي ﷺ فسماه الشريد. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج3، بيروت: دار إحياء التراث، 1328هـ/ 1910م، ص340.

(15) المسند 4/ 388، مسلم، مسلم بن حجاج القشيري: **الجامع الصحيح**، ج4، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص1767.

(16) الجامع الصحيح 4/ 1768.

(17) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير

البخاري، ج2، الرياض: دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/ 2003م، ص24.

(18) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج2، بيروت، :دار الكتب العلمية، 1410هـ/ 1990م، ص281.

(19) أمين، أحمد أمين: **النقد الأدبي**، ط5، القاهرة: مكتبة النهضة، 1403هـ/ 1983م، ص419.

(20) المسند 2/ 374.

(21) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أخرج إلى بدر مكرهاً ففداه عمه العباس، رضي الله عنه، ثم أتى مسلماً قبل الحديبية وشهد غزوة مؤتة، وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامها، توفي في خلافة معاوية. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج3، ط1، بيروت: دار الجيل، 1412هـ/ 1991م، ص1078.

(22) الإصابة 4/ 531.

(23) الطبقات 2/ 368.

(24) أبو محمد عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري المدني، حليف بني زهرة، مسح النبي ﷺ رأسه، فوعى ذلك، كان شاعراً، فصيحاً، نسابة، وكان مقلاً في رواية الحديث، توفي سنة 89هـ. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ج9، ط9، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ/ 1992م، ص503.

(25) التاريخ 1/ 641، الذهبي: تاريخ الإسلام 3/ 446.

(26) التاريخ 1/ 641، المصدر نفسه 3/ 446.

(27) الجامع الصحيح 3/ 1275.

(28) الذهبي، الحافظ أبي عبدالله: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي البجاوي، ج3، ط1، بيروت: دار المعارف، 1382هـ/ 1953م، ص470.

(29) الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد زاهر النجار، ط1، بيروت: دار الجيل، 1393هـ/ 1973م، ص267.

(30) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ج6، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/ 1988م، ص69.

(31) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، 1/ 42.

(32) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص320.

(33) ابن حبان، محمد بن حبان البستي: **الثقات**، ج9، ط1، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1393هـ/ 1973م، ص74.

(34) القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق: عبدالقادر الصحراوي، ج2، ط1، المغرب: مطبعة فضالة، 1389هـ/ 1970م، ص195، المزي، يوسف بن الزكي المزي: **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عواد، ج26، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ/ 1980م ص637، ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، ج9، ط1، بيروت: دار الفكر، 1404هـ/ 1984م، ص457.

(35) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبى حاتم: **الجرح والتعديل**، ج9، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1371هـ/ 1952م، ص75.

(36) لتعرف جانب من أسلوب التعليم في الكتاتيب بالمدينة، انظر: ترجمة خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان لدى الزبيري، مصعب بن عبد الله الزبيري: **نسب قريش**، تحقيق: ليفي بروفنسال، ج4، ط3، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص114.

(37) تهذيب الكمال 26/ 638، تهذيب التهذيب 9/ 457.

(38) تهذيب الكمال 26/ 638.

(39) تهذيب الكمال 26/ 638.

(40) سير أعلام النبلاء 6/ 162، 163.

(41) الجرح والتعديل 9/ 175.

(42) الجرح والتعديل 9/ 175.

(43) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: **التاريخ الكبير**، ج7، ط1، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، د.ت، ص107.

(44) التاريخ الكبير1/ 266، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي البجاوي، ج4، ط1، بيروت: دار المعارف، 1382هـ/ 1953م، ص62، تهذيب الكمال 26/ 638 -636، تهذيب التهذيب 9/ 456، 457.

(45) الجرح والتعديل (553) 8/ 123.

(46) تهذيب الكمال 26/ 638، تهذيب التهذيب 9/ 457.

(47) الثقات 9/ 74.

(48) انظر: الجامع الصحيح، "باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك" 2/ 973.

(49) ترتيب المدارك 2/ 195.

(50) الإمام السمهودي: **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص285.

(51) ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف: **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: ج. برجستراسر، ج2، 1351هـ/ 1932م، ص277.

(52) الصافية أي الضياع التي يستخلصها الخليفة لنفسه أو لغيره. ابن منظور، محمد بن مكرم المصري: **لسان العرب**، ج14، ط1، بيروت: دار صادر، د.ت، 462.

(53) ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة البصري: **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ج1، ط1، جدة، 1399هـ/ 1978م، 234.

(54) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ج10، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/ 1988م، ص221.

(55) أبو البختري وهب بن وهب القاضي، كان من أهل المدينة ثم خرج منها فنزل الشام، ثم قدم بغداد فولاه الرشيد القضاء بعسكر المهدي. ثم عزله فولاه مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ثم عزل عن المدينة فقدم بغداد فلم يزل بها حتى مات بها سنة 200هـ. الطبقات (3491) 7/ 240.

(56) وفاء الوفا 2/ 123.

(57) المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشعراء**، تحقيق: ف. كرنكو، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1402هـ/ 1982م، ص243.

(58) لم أقف على ترجمة له في المصادر.

(59) تاريخ المدينة 1/ 245.

(60) البداية والنهاية 10/ 287.

(61) وفاء الوفا 2/ 111.

(62) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، (القسم المفقود)، ج7، ط1، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1435هـ/ 2013م، ص165.

(63) قامت الباحثة نورة سعد الداود (رحمها الله) بتحقيق هذا المخطوط في أطروحتها للدكتوراه، واقتصر عملها على البابين الثاني والثالث، وبعد الاضطلاع بفحص هذين البابين، لم أجد ذكراً لأبي غسان محمد بن يحيى. والظاهر أن نقل الإقشهري عنه كان في الباب الأول الذي استبعدته الباحثة من التحقيق، ومما يؤكد ذلك ما أورده السمهودي من نقل الإقشهري عن أبي غسان، حيث يقول: "وقال أبو غسان فيما حكاه الأقشهري.." . انظر الإقشهري، محمد بن أحمد بن أمين الإقشهري: "الروضة الفردوسية والحضرة القدسية"، تحقيق: نورة سعد الداود، ج1، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طيبة، 1430هـ/ 2009م، ص6، وفاء الوفا 2/ 114، 2/ 115، 2/ 123، 2/ 128.

(64) تاريخ المدينة 2/ 689.

(65) لمزيد من التفصيل عن طريق السماع، انظر: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، بيروت: دار الفكر، 1408هـ/ 1988م، ص62، 63، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: **تدريب الراوي في شرح تقريب**

النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ج2، ط2، القاهرة: المكتبة العلمية، 1392هـ/ 1972م، ص8، 9.

(66) لمزيد من التفصيل عن طريق العرض، انظر: مقدمة ابن الصلاح ص62، 63، تدريب الراوي 2/ 8، 9

(67) تاريخ المدينة 2/ 689.

(68) لمزيد من التفصيل عن طريق الوجادة، انظر: مقدمة ابن الصلاح ص86،87، تدريب الراوي 2/ ,60،61

(69) تاريخ المدينة 1/ 108.

(70) تاريخ المدينة 2/ 689.

(71) تاريخ المدينة 1/ 121.

(72) تاريخ المدينة 1/ 165 -161.

(73) تاريخ المدينة 1/ 37-25.

(74) انظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: **الرد على الإخنائي قاضي المالكية**، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، ج1، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ، ص139.-131

(75) تاريخ المدينة 1/ 56، 57.

(76) تاريخ المدينة 1/ 77- 57.

(77) تاريخ المدينة 1/ 135-133.

(78) تاريخ المدينة 1/ 6.

(79) تاريخ المدينة 1/ 74، وفاء الوفا 2/ 248.

(80) تاريخ المدينة 1/ 16، وفاء الوفا 2/ 248.

(81) تاريخ المدينة 1/ 17، 18.

(82) الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم: **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة، 1389هـ/ 1969م، ص. 385

(83) الرد على الإخنائي 1/ 131.

(84) تاريخ المدينة 1/ 235-233.

(85) لسان العرب، مادة (خوخ) 3/ 14.

(86) لسان العرب، مادة (زقق) 10/ 143.

(87) تاريخ المدينة 1/ 340.

(88) تاريخ المدينة 1/ 242.

(89) تاريخ المدينة 1/ 271، 272، ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري**

بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ج5، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت، ص388.

(90) تاريخ المدينة 1/ 148، 149.

(91) تاريخ المدينة 1/ 4، 5.

(92) تاريخ المدينة 1/ 86، 97.

(93) تاريخ المدينة 1/ 99، 124.

(94) تاريخ المدينة 1/ 132-128.

(95) أبو عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وهو أخو يحيى وعيسى بن زيد. ورد بغداد في أيام المهدي، كان من رجالات بني هاشم لساناً وبياناً. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن على ثابت: **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج2، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/ 1997م، ص358.

(96) تاريخ المدينة 1/ 120، وفاء الوفا 3/ 97.

(97) لم يتسن للباحث تمييز خالد، أهو خالد بن أبي الصلت المدني والي المدينة في خلافة عمر بن عبد العزيز، أم خالد بن عبد الملك بن مروان، الذي ولي المدينة في سنة 114هـ، ثم عزل وأعيد إليها في سنة 117هـ، ثم عزل في سنة 118هـ؟. السخاوي: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/ 1993م، ص315، عبد الغني، عارف عبد الغني: **تاريخ أمراء المدينة المنورة**، دمشق: دار كنان، د.ت، ص91، 97.

(98) تاريخ المدينة 1/ 129، 130.

(99) تاريخ المدينة 1/ 120.

(100) تاريخ المدينة 1/ 174، 175.

(101) تاريخ المدينة 1/ 218.

(102) تاريخ المدينة 1/ 222-220.

(103) تاريخ المدينة 1/ 305، 306.

(104) تاريخ المدينة 1/ 306.

(105) يذكر السمعاني أن البَرّاد من ينسب إلى شيئين: أحدهما لمن يبرد الماء في الكيزان والجرار، والثاني لمن يبيع البرود جمع برد، وهي نوع من الثياب التي تلبس. **الأنساب**، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ج1، ط1، بيروت: دار الجنان، 1408هـ/ 1988م، ص304.

(106) تاريخ المدينة 1/ 129، 130.

(107) وفاء الوفا 2/ 248.

(108) تاريخ المدينة 1/ 230.

(109) تاريخ المدينة 1/ 35.

(110) تاريخ المدينة 1/ 36.

(111) تاريخ المدينة 1/ 16 -11.

(112) تاريخ المدينة 1/ 288.

(113) وفاء الوفا 2/ 79.

(114) تاريخ المدينة 1/ 245.

(115) تاريخ المدينة 1/ 248.

(116) تاريخ المدينة 2/ 492، 493.

(117) تاريخ المدينة 2/ 439-438.

(118) تاريخ المدينة 2/ 492، 493.

(119) تاريخ المدينة 1/ 187، 188، وفاء الوفا 4/ 30.

(120) تاريخ المدينة 2/ 722-610، 3/ 892-835.

(121) تاريخ المدينة 1/ 80.

(122) تاريخ المدينة 1/ 169.

(123) تاريخ المدينة 1/ 167.

(124) تاريخ المدينة 1/ 169، 170.

(125) مثل حديثه عن خبر خالد بن سنان العبسي. انظر تاريخ المدينة 2/ 428 -426.

(126) تاريخ المدينة 1/ 123، التحفة اللطيفة 2/ 184.

(127) **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، بيروت: دار المعرفة، 1417هـ/ 1997م، ص138.

(128) التحفة اللطيفة 1/ 88.

(129) التحفة اللطيفة 2/ 450.

(130) التحفة اللطيفة 2/ 187، 188.

(131) تاريخ المدينة 1/ 16، وفاء الوفا 2/ 248.

(132) تاريخ المدينة 1/ 56.

(133) تاريخ المدينة 1/ 149، 150.

(134) انظر: الخطيب البغدادي: **الكفاية في علم الرواية**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ/ 1988م، ص269.

(135) تاريخ المدينة 1/ 74، 75.

(136) تاريخ المدينة 1/ 58، 59. .

(137) تاريخ المدينة 1/ 61، 64. .

(138) تاريخ المدينة 1/ 16، 17.

(139) تاريخ المدينة 1/ 159.

(140) انظر: تدريب الراوي 2/ 637، لأنجلو وسينوبوس، شارل فيكتور لأنجلو وشارل سينوبوس: **المدخل إلى الدراسات التاريخية**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط4، الكويت: وكالة المطبوعات، 1401هـ/ 1981م، ص117.

(141) تاريخ المدينة 1/ 149.

(142) تاريخ المدينة 1/ 218.

(143) تاريخ المدينة 1/ 272، فتح الباري 5/ 388.

(144) تاريخ المدينة 1/ 194.

(145) الرد على الإخنائي ص132.

(146) تاريخ المدينة 1/ 173، 174.

(147) وفاء الوفا 2/ 285.

(148) وفاء الوفا 1/ 282.

(149) وفاء الوفا 2/ 251.

(150) وفاء الوفا 2/ 251.

(151) تاريخ المدينة 1/ 149، 150.

(152) تاريخ المدينة 1/ 236.

(153) تاريخ المدينة 1/ 225.

(154) تاريخ المدينة 1/ 120، وفاء الوفا 3/ 97.

(155) تاريخ المدينة 1/ 272، فتح الباري 5/ 388.

(156) تاريخ المدينة 1/ 287.

(157) تاريخ المدينة 1/ 159.

(158) التحفة اللطيفة (القسم المفقود) 7/ 165.

(159) التحفة اللطيفة (القسم المفقود) 7/ 165.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: **فهد سعد الرشيدي**

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص.ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي: 72455 الخالدية - الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ - ٢٤٩٨٨٠٩٥
فاكس: ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: E-mail - jsis@ku.edu.kw

issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html